

كتاب اليوم الجديد

(١)

مخاطر العولمة

محمود قاسم

شركة الدلتا اليوم للصحافة والنشر والتوزيع والدعاية

دار دلتا للنشر



رئيس مجلس الإدارة

المحاسب

أحمد التلاوى

الناشر

سليمان القلشى

مستشار النشر

أحمد سويلم

الطبعة الأولى

الكتاب : مخاطر العولمة

المؤلف : محمود قاسم

تصميم الغلاف : محمد جمال

إخراج : أحمد عبد الحليم

المقاس ١٢ × ١٧

رقم الإيداع : ٢٠١٥ / ١٩٩٤٠

الترقيم الدولي : 4 - 115 - 776 - 977 - 978

العنوان : ٧ شارع الموسيقار على إسماعيل الدقى

التليفون : ٣٣٣٧٨٣١٩ - ٣٩ - ٣٣٣٨٧٠

email : elyounnew@gamil.com

هى ألفاظ صار علينا أن ننتق بها، ونرددها، دون أن نعرف حقيقتها، والغريب انها تتكاثر، ويزيد عددها يوما وراء آخر، خاصة فى الفترة الأخيرة، وإذا راجعت قاموس المفردات التى دخلت حياتك فى أكثرها..

الوات ساب

الهاشاج

الاندرويد

البلاك بيرى

الآى باد

ومئات من هذه المصطلحات، بعضها مرتبط بانتاج التقنيات، والبعض الآخر يخص ثقافات الشعوب، شعوبنا، وجيراننا، وكافة أقطار العالم. هذه المفاهيم والمصطلحات صرنا نتداولها، نحن الكبار، والشباب، والصغار فى كل مكان، حتى وان تعمدنا عدم فهمها.

فى بيوتنا الآن، صار الأطفال الذين يبلغوا سن
العامين يلعبون بأجهزة صنعت للكبار، وقد استوعبوها،
وكأنها مصنوعة من أجلهم، ولعل بعضهم قد صارت
جزء من حياته، بينما بعض الكبار يرفضون بشدة
الدخول إلى العقد الثانى من القرن الواحد والعشرين.

شئنا أم أبينا، فإن العالم من حولنا يتغير
بسرعة، وتتغير أدواته، وبالتالى مفاهيمه، ومصطلحاته.

وهذه الإضافات لم توضع بعد فى المناهج
الدراسية، ما يعنى أن بيننا وبين العالم من حولنا
فواصل زمنية، ومكانية من الصعب أن تلتئم..

★ ومن هذه المصطلحات العولمة..

لقد دخل هذا المفهوم فى حياتنا منذ نهاية
القرن العشرين، لكن الكثيرين منا لم يستوعبوه
حتى الآن، ولا يزال البعض يربط ما بين «العولمة»
Globalization وبين «العلم» **Science**، وبين
العالمية، ومصطلحات أخرى كثيرة..

★ ومن هنا تأتي أهمية هذا الكتاب..

سوف نقدم فيه تعريفا للعولمة, كيف بدأت بالأمس,
وماذا تعنى اليوم, وكيف ستغير العالم فى الغد..

★ العولمة :

ترى ما علاقتها بالعالم, وما مستقبلها, وأين نحن
منها, وهل هى مصطلح غربى, لا علاقة لنا به..
دعونا نعرف الاجابة على كل ما يرد برأسك
من اسئلة, من خلال هذا الكتيب الذى اخترنا أن
نصوغه فى إطار من الحدوتة المسلية, منه إلى كتاب
ملىء بالمصطلحات الصعبة..

وسوف تعرف بعد الانتهاء من قراءته أن هذا
الاسلوب من الحكى هو الأفضل, خاصة اننا نوجهه
إلى الشباب..

قال «تامر» فى دهشة:

- أشياء كثيرة نسمع عنها. ونقرأها.. دون أن
نعرف ماذا تعنى.

كان «تامر» يتحدث إلى أخته «تميمة» بعد أن استرعى انتباهه المقال الذى قرأه فى صحيفة الصباح حول مصطلح يسمعه لأول مرة. لكن يبدو أنه منتشر من حولنا فى الفترات الأخيرة..

وبدت الحيرة فى الكلمة.. ترى ماذا تعنى؟

والتقى الأصدقاء فى المساء.. انهم «أصدقاء المعرفة» كما يحلو لهم أن يسموا أنفسهم. إنهم يتبارون فيما بينهم كل خميس. فى دورى المعلومات. هذا الدورى الذى يقام فى مكتبة النادى. واستطاع «تامر» و «تميمة» أن يحققا فوزا فى المرة السابقة. وقد أثار هذا الدهشة وسط الاقارب والزملاء والجيران فى مسابقة المعلومات العصرية..
وهاهما الليلة سيدخلان فى التصفيات النهائية..

بدت التصفية بالغة الإثارة..

فلمسابقة عبارة عن طرح أسئلة، يقوم الطرف المتنافس. بتوجيه أسئلة صعبة للطرف الثانى. وإذا عجز الطرف الثانى عن الإجابة. فعلى الطرف الأول أن يجيب هو عن السؤال بشكل أمثل. شرط

أن تكون مادة الاسئلة حول المعارف الحديثة..
أى انك إذا أطلقت سؤالاً.. يجب أن تعرف
الإجابة الكاملة..

وقف «تامر» و «تميمة» ومعهما صديقيهما «سامى»
أمام زملاء المنافسين «فتحية» و«هشام» و«مصطفى»..
أمام حشد من الناس, من مختلفى الأعمار..
وبدأ كل طرف يلقي السؤال على الطرف
الآخر.. سألت «فتحية»:

- متى بدأ اختراع السينما..؟

رد «سامى»: عام ١٨٩٦ فى فرنسا أولاً, وسرعان
ما انتقلت إلى بريطانيا والولايات المتحدة ومصر..
سألت «تميمة»: من هو الحكيم الصينى الذى
قال: بدلا من أن تعلن الظلام.. أضىء شمعة..
ودام صمت قليل قبل أن يرد «مصطفى»: انه
الحكيم كونفوشيوس.

وتوالى الأسئلة.. كان بعضها صعبا، والآخر سهلا، لكن الفريقين كانا يمتلكان قدرا كبيرا من المعلومات حول المعارف الحديثة، المصطلحات، والأجهزة الجديدة، والاتصالات..

لذا كانت النقاط التي أحرزها الطرفان متقاربة للغاية.

وهنا أراد «تامر» أن يحسم الموقف، فراح يسأل سؤالا، وبدا كأنه يجهز لإطلاق لغز كبير:

- ماذا تعنى العولمة..؟

وهنا تكهرب الموقف.. ونزل المصطلح مثيرا للدهشة، بدا البعض كأنه يعرف، والبعض الآخر فى حاجة إلى المعرفة، قال «مصطفى»: العولمة.. تعنى شيئا عالميا.. من العالمية.

وقالت «فتحية»: العولمة.. تعنى أن يعلم الإنسان بالأشياء.. أى من العلم. فالعلم أفضل من الجهل، ونحن فى عصور التنوير، والعلوم.

وتدخل «هشام»: العولمة تعنى أن التعليم والعلم كالماء والهواء. من حقنا جميعا. كل البشر فى كل الدنيا..

ابتسم «تامر». وتأكد أن الفارق بين النقاط فى هذه المسابقة الرسمية سوف يحسب لفريقه. فقال: خطأ.. كل هذه المفاهيم خطأ. ليست هذه هى «لعولمة».. قالت الاستاذة «سناء» التى تشارك بتحكيم المباراة:

- لو أجاب الفريق «أ» عن السؤال اجابة صحيحة فسوف ينال نقطتين.. ولأن هذا موضوع صعب فيمكن أن نخصص له ثلاث نقاط. هذا السؤال اجابته تحتاج تريث..

ونال الفريق «أ» ثلاث نقاط.. وقبل أن يعلن عن نتيجة المسابقة, قالت الاستاذة «سناء»:

- التعرف على موضوع «العولمة» لا يحتاج فقط إلى كلمات عابرة.. سوف نوزع الجوائز بعد أن نعقد حلقة نقاشية حول الموضوع.. ما رأيكم..؟

وأحس جميع الأصدقاء أنهم فى حاجة إلى معرفة المزيد من هذا الموضوع واتقفوا على الالتقاء

فى حلقة نقاش لمعرفة المزيد عن الموضوع، وترى هل الاجابات كانت صحيحة..؟

وجاءت المشروبات المثلجة.. والسندوتشات.

وبعد أن ارتوت الشفاه، وشبعت البطون، بدأ الحديث، بدأت الاستاذا بتعليق كأنها تمزح، وراحت تدقق فى عيون المتسابقين من الشباب الصغير، وبدا أحدهم كأنه يفتح باب النقاش، وقال:

- لماذا نتسابق فيم هو صعب؟

ردت الاستاذا «سنا»: «

- كى نتعلم، كى نبحت، نتجادل، نتفق ونختلف.

ثم اطلقت سؤالاً غريباً:

- هل تعرفون أن صديقتنا «ابتسام» رأّت يوماً

فأراً فصاحت فى دهشة: انه لا يشبه ميكى ماوس؟

هنا سأل «سامح»: وهل هناك فأر يختلف عن

ميكى ماوس؟ كل الفئران متشابهة.

أحست الاستاذة بالقلق، وراحت تبحث عن مدخل أسهل للحوار فقالت :

- هذه هى المشكلة.. كلنا نحب الرسوم المتحركة.. ولكن «ميكى ماوس» ليس هو الشخصية الوحيدة فى هذا العالم.. ليس «توم وجيرى»، وليس «المتحولين» فقط.. أنها صناعة أمريكية يحبها الناس.. لذا يجب التعرف على أبطال الحكايات فى كل أنحاء العالم.. فى فرنسا، فى اليابان، فى الهند، فى مصر، فى تونس.. وألا يسيطر «ميكى ماوس» وحده على كل الشخصيات..

بدا كلامها صعبا.. وفى حاجة إلى تفسير. والى المزيد من الشرح.

شرحت الاستاذة أن شهرة الفأر «ميكى ماوس» فى كل العالم، شهرة شخصيات مثل «توم وجيرى» وغيرها الكثير من الشخصيات، يعنى معرفة كل سكان العالم بشخصية أو أكثر فقط على ثقافة العالم.. يعنى سيطرة ثقافة واحدة على كل الثقافات. وان تمتع شخصيات والت ديزنى بالشهرة قد يحول

دون شهرة أى شخصيات من ثقافات أخرى..
لكن, الموضوع لا يتعلق وحده بثقافة العالم..
بل بالثقافة بشكل عام وأيضاً بميادين كثيرة منها
السياسة والاقتصاد وغيرها.

ان العولمة فى تعريفها البسيط الأولى تعنى وحدة
العالم, أو وحدة الكرة الأرضية التى نعيش جميعاً فوقها.
ولأننا فى عالم يتطور دائماً, وحاله اليوم
يختلف عن حاله بالأمس, لأنه يتطور بسرعة, فإن
التعريف يختلف من وقت لآخر, ومن مكان لآخر..
لكن يمكن أن نقول ان العولمة تعنى وجوداً قوياً
لا يمكن السيطرة عليه للأسواق الدولية والشركات
متعددة الجنسية التى ليس لها ولاء لأية دولة قومية.

وبدأت تشرح أن كلمة العولمة مرتبطة بالمصطلح
الانجليزى **Globalization** وهو مستوحى من
كلمة **Globe** التى تعنى الكرة الأرضية والتى
يوجد منها نماذج للخرائط فى المكاتب والبيوت..

يعنى ليس هناك فى اللغة العربية علاقة بين
ترجمة «العولمة» وبين كلمات تشترك فى نفس

الحروف: علم، تعليم، اعلام، معلومات. وهكذا..
وشرحت الاستاذة أن العولمة مصطلح اقتصادى
فى المقام الأول، فخصيات والت ديزنى تجلب
الأموال من كل انحاء الدنيا، عن طريق تسويق
الأفلام، والدميات والألعاب أو الكتب، والقصص.
والنماذج.. العولمة اقتصاد..

قال أحد التلاميذ:

- لكن هذا التعريف يتناول العولمة من الناحية
الاقتصادية ونحن يهمنى الجانب الثقافى خاصة ما
يتعلق بالثقافة العربية.

قالت الاستاذة معلقة:

- نحن نعيش فى عصر تتداخل فيه أمور عديدة
فى حياتنا، فالاقتصاد لم يعد منفصلا عن السياسة،
والثقافة فى دولة ما مرتبطة بالاقتصاد، والسياسة..
والاعلام، والتعليم، والجمارك، والاتصالات، وما يسمى
الآن بالشركات الكبرى، المتعددة الجنسية..

سأل «عصام»:

- ما المقصود بالشركات متعددة الجنسية؟

وجاءت الاجابة بأنه فيما قبل كانت هناك شركات قومية, تحمل اسم الدول التي تعمل فيها, كأن نقول إن شركات سيارات «فورد» أمريكية, وسيارات «مرسيدس» ألمانية, لكن الاقتصاد تطور وتضخم بحيث أصبحت هناك شركات ضخمة, لا تحمل فقط جنسية دولة بعينها. ولكن ترجع ملكيتها لأشخاص من دول متعددة ولها أفرع في كل أنحاء العالم.. وهذه الشركات تبدو أقوى من الدول في بعض الأحيان. فالسيارات الأمريكية صار يتم تجميعها في الصين, أو في دول شرق آسيا, وعليها العلامة التجارية الأمريكية, وتباع في كل أنحاء الدنيا.

سكتت الاستاذة, ثم أخرجت من حقيبتها كراسا صغيرا, وراحت تقرأ فيه بعد أن قالت:

- ليس هناك تعريف محدد للعولمة, بل هناك عدة تعريفات حسب العلماء والحكماء ولذا فمن المهم أن نرجع هنا إلى ما كتبه الكثيرون

ممن تخصصوا فى هذا الفرع من المعرفة، مثلاً:

الدكتور «برهان غليون» أحد المفكرين العرب الكبار، قال إن العولمة هى «حركة جديدة تبرز داخل دائرة العلاقات الدولية من خلال تحقيق درجة عالية من انتشار المعلومات والتجارب التقنية والعلمية يتزايد فيها دور العامل الخارجى فى تحديد مصير الأطراف الوطنية المكونة لهذه الدائرة».

اذن فالدكتور برهان غليون تحدث عن العولمة من خلال انتشار المعلومات فى كل العالم وسبب انتشار المعلومات مرتبط بتطور أجهزة الكمبيوتر والأقمار الفضائية، وشبكات التواصل الاجتماعى على الانترنت.. والمعلومات مرتبطة بكافة أشكال الحياة على الأرض. فى كل فرع وليس فى فرع واحد..

معلومات فى التاريخ، والسياسة، والاقتصاد، والأدب، والفن، ومعلومات فى الهندسة، والطب، والعلوم بكافة أشكالها. وأيضا فى عقائد الناس قديما وحديثا..

وصارت المعلومات بلا وطن.. والعالم هو وطنها الأول..

فقد يستفيد باحث فى اليابان عندما يحصل على معلومة عن أساليب التحنيط عند قدماء المصريين. وكيف برع الفراعنة فى عمليات التحنيط. وتم حفظ الأجساد لقرون عديدة..

ويمكن لطبيب أن يرى على شاشة الانترنت كيف تتم عملية جراحية جديدة من نوعها فى بلد آخر دون أن يغادر مكانه.

ويمكن لمهندس أن يحصل على التصميمات الخاصة بأى بناء هندسى حديث. وان يحتفظ فى الفلاشا بهذا التصميم كى يرجع إليه فى أى وقت. إنه عالم مزدحم.. بالمعلومات.. ملىء بالدهشة.

وقبل أن نتوغل فى التعريف. تعالوا نرجع إلى التاريخ..

فالانسان يحب المجهول، ويعشق العالم، والترحال.. ومنذ أن خرج الانسان من موطنه، ورحل إلى الدنيا من حوله وهو يحاول السيطرة على العالم وان يمتلكه.

وبدأت أولى ظواهر العولمة فى التاريخ من خلال الفينيقيين، الذين كانوا يسكنون لبنان حالياً، فيما أسموه بدولة فينيقيا، هذه الدولة التى اعتمدت على التجارة فى المقام الأول.. وذلك فى أواخر عهد الفراعنة. وكانوا يقيمون شرق البحر المتوسط وسافر الفينيقيون إلى شمال تونس، فيما يعرف باسم «قرطاجة».

وأقيمت خطوط ملاحية بين لبنان وتونس، أو بين فينيقيا، وقرطاجة.. وانتقل اليونانيون القدامى إلى مصر، وجاء من بعدهم الرومان، وصار الهدف الأسمى للانسان، أن يتصل من خلال التجارة بالشعوب الأخرى، لقد تم ذلك من خلال الحروب والغزوات، والهجرات الفردية والجماعية، واحتلال أراضى الآخرين، وإبادة الحضارات.

كان من المهم للانسان ان يجد لبضاعته أسواقا أخرى غير الاسواق المحلية. وذلك بهدف جلب المال، والبضائع الأجنبية. وقد ساعدت الزراعة والتصنيع فى ازدهار التجارة..

دفع هذا بالتجار إلى التعرف على ثقافات الشعوب التي يتعاملون معها، والثقافة هنا كلمة واسعة تعنى العادات والتقاليد والتراث والمعرفة والسلوك الإنساني.

ومع تطور أساليب التجارة، وفي عصرنا صارت الطائرات تقطع المسافات في ساعات وأصبح من السهل على رجل أعمال أن يتناول فطوره في نيويورك وغداءه في باريس والعشاء في القاهرة. بل من السهل أن يرسل رسائل عبر البريد الإلكتروني والفيس بوك. والوات ساب..

وتبعاً لهذا كله نشأت في عالمنا المعاصر شبكة معقدة ومركبة من المؤسسات والتكتلات العالمية.. الموجودة في كل مكان. والتي تكبر وتتعاظم يومياً.. منها مثلاً البنك الدولي، صندوق النقد الدولي، ومنظمة التعاون الاقتصادي..

سأل أحد التلاميذ:

- العولمة، هل هي مفيدة أم ضارة؟

توقفت الاستاذا قليلا عن الكلام وراحت تفكر
فى اجابة مناسبة. هنا قال «أسامة»:

- ناس يقولون شيطاننا رجيمًا، وناس يقولون
انها مفيدة. انه أمر يبعث على الحيرة والقلق.

ولأن الاستاذا تحب القصص كنماذج قالت:

- من منكم يعرف المارد.. انه كائن ضخيم
قوى.. ترى من يغلب الآخر، المارد العملاق، صاحب
الجسم الضخم، والعضلات القوية، أم الانسان العادى..
ردت «سمية»: المارد بالطبع..

علقت الاستاذا: الانسان العادى الواثق فى نفسه
قد لا يهتم بالمارد.. إذا كانت لديه قوته الخاصة..
ومن هنا تأتى المنافسة.. بين المحلية، والعولمة.

فالعولمة تحاول مسح هوية المحلية.. بمعنى أن
يكون للاشياء شكل تقليدى واحد.. ولكن المحلية
شئ مهم.. كأن تعتز بتراثك القديم، بلغتك،
بعقيدتك. بذكرياتك، بثقافتك، بسلوكك..

المهم أن يتمكن الانسان العادى من منافسة
المراد وأن يقف قبالتة.

والدول الآن تسعى للتكاتف من أجل أن
تكون قوية فى الاقتصاد، والتقنية، والعلم، مثلما
حدث فى أوروبا حينما تكافتت الدول صارت
أكثر قوة فى مواجهة القوة الأمريكية وأصبح
لأغلب الدول الأوروبية عملة واحدة هى «اليورو».
الذى صار أقوى من العملة الأمريكية «الدولار»..

تنهد «نور» وقال:

- يا الهى.. انه أمر معقد.. أنا لا أكاد أفهم
شسئاً. هل تفهمون، أم أنكم مثلى؟

تمتم «سعيد»: أنا. بكل فخر، لم أفهم.

أحست الاستاذا أنها دخلت فى منطقة
صعبة، ربما لأن الحاضرين لا يعرفون حقيقة الكثير
من المصطلحات.. لكنها وجدت نفسها أمام تحد..
فعليةا أن تثبت كفاءتها فى أن توصل المعلومة
بشكل سهل.. وبلا مصاعب. خاصة «العولمة»..

ترى هل تنجح؟

قالت الاستاذ:

- أسهل تعريف للعملة هو انها ازالة الحواجز والحدود أمام الشركات والمؤسسات الدولية الاقتصادية والاعلامية الكبرى فى انحاء الدنيا.

وبدت الأمور أكثر سهولة.. فلا شيء صعب فيما يتعلق بازالة الحواجز, فعلى المستوى الاقتصادى يجب أن تدخل سلع هذه الشركات إلى الأسواق فى كل انحاء العالم بدون قيود.. وبتسهيلات, ودون جمارك. وسط منافسات هائلة..

- يا الهى.. انه أمر بالغ الصعوبة!!

هكذا هتف «نادر», وقال مكملًا:

- بهذا الشكل.. سوف تخسر صناعة أبى.. أبى لديه مصنع للسجاد يقدم منتجاته بخامات محلية, ولديه عمال مصريون, يعملون بأجور معقولة, ويبيع بأسعار لا تجعله يخسر, ترى ماذا يفعل, لو امتلأ السوق بسجاد تنتجه شركة

عالمية ضخمة تنتج كميات كبيرة وبتكاليف أقل..
وبدا الحاضرون كأنهم أدركوا حجم المخاوف..
هنا قالت الاستاذة:

- هذا مثال رائع.. ويدفعنا أن نشجع صناعتنا
الوطنية وأن نقف بجانبها. بدلا من استيرادها..

كان على الشباب أن يفهموا المعنى الحقيقي
للعولمة، بأنها ازالة الحواجز لكل نشاط انساني، أن
يدخل البلاد، سواء فيما يتعلق بالاعلام، أو الاقتصاد،
أو الفنون.. أو الثقافة. فالقنوات الفضائية العديدة،
جعلت السماوات مفتوحة من وعلى، وقد ساعد
ذلك فى أن تدخل كافة الأفكار إلى كل البيوت، عبر
التلفزيون، والآى باد، والتليفونات المحمولة، والبلاك
بىرى، والصحافة الاليكترونية، والبريد الاليكترونى،
والفيس بوك، وغيرها..

وأمام التطور الجارى، صار من الصعب على
دولة ما أن تمنع دخول ثقافات دول أخرى.. مهما
كان فالافلام العالمية والبرامج والمباريات تأتينا عبر
القنوات الفضائية و صار من الصعب على دولة أن

تمنع بثها, لأن هناك أكثر من وسيلة لمشاهدتها.

المشكلة اذن.. من ناحية الثقافة هي أن العالم يمكن أن يكون له نمط واحد من الأفكار وأشكال التصرفات الفردية والجماعية.

وسيجد أبناء العالم الثالث أنفسهم فى مشكلة.. بل فى حزمة من المشكلات..

ترى هل نتبع ثقافة العالم.. أم نتمسك بثقافاتنا المحلية التى ورثناها؟

بالطبع.. يجب التمسك بالثقافة المحلية دون أن ننكر أهمية الثقافات الأخرى.. ومن المهم أن تتنامى الثقافة المحلية لأن الثقافة تختلف عن الاقتصاد.

قد تكون لسلعة ما مواصفات عالمية, ونجد أن نفس السلعة موجودة فى مصر واليابان وماليزيا وجنوب افريقيا والبرازيل وفنلندا, مكتوب عليها انها مصنوعة فى دولة بعينها, رغم أن اجزائها تمت صناعته فى بلاد عديدة..

لكن الثقافة شيء آخر.. فالثقافة متحركة،
تعيش في وجدان الناس، وتعبر عن كياناتهم..
فالناس ليس لها نفس العادات..

وليس لها نفس المشاعر.. أو النمط الحياتي..
لذا فأنت تعيش في حى شعبي بشكل
مختلف عن حياة الناس في الحى الراقى أو في
المناطق الجديدة..

وعندما يكتب شاعر ما قصيدة حب فانها تعبر
عن مشاعره هو تجاه حبيبته، لكن الناس يتأثرون بها.

لكن «العولمة» قد تهدف إلى سيادة النمط
الأمريكي مثلا، ففي النموذج الأمريكي أن البطل لا
يقهر، سواء كان محاربا، أو ضابط شرطة، أو حتى
عندما يتم اقتباس أبطال من العالم الثالث، مثل
علاء الدين.. فهو قد يكون عربيا في الشخصية
لكنه مصنوع على الطريقة الأمريكية.

وبدا هذا واضحا في شخصية البطل في فيلم
«أمير مصر» الذى قدمته هوليوود عام ١٩٩٦ إنه

مصنوع على الطريقة الأمريكية. فرغم أن شخصية الأمير مصرية، فإنه يتكلم اللغة الانجليزية، وله ملامح غربية، وعيون واسعة، وليست أبدا ملامح شرقية، كما ان الأفلام التى صورت حياة الملكة السكندرية «كليوباترة» اختارت ان تكون الممثلة ذات ملامح غربية، الشعر الأشقر، والعيون الواسعة، والبشرة البيضاء. رغم أن «كليوباترة» كانت شرقية.. بيضاء..

والعالم كله يشاهد هذه الأفلام ويصدق ما بها، ولذا فهو سيتبنى وجهة نظر صناع الفيلم، وليس وجهة نظر المصريين، الذين يحكى الفيلم قصتهم.. ولأنه من الصعب على مصر أن تنتج أفلاما ضخمة بمثل هذه المواصفات..

فإن العالم سيظل حاملا وجهة النظر التى جاءت فى الأفلام، ان «كليوباترة» ذات ملامح غربية، كما جسدها الجميلات والشقراوات مثل فيفيان لى، واليزابيث تايلور، وجيزالدين شابلن، وانجلينا جولى..

من هذا الحوار الطويل الذى دار بين الشباب ومدرستهم فى حفل السمر، أحس الكثيرون أن للعلامة مخاطرها خاصة فيما يتعلق بالثقافة. ولا بد من التحذير منها..

وأدرك الطالب أحمد أن الشركات متعددة الجنسيات تحاول أن تستقطب ذوق المستهلك بأى ثمن، ليس فقط لشراء سلعتها، بل وأن يفكر بنفس الطريقة التى تفكر بها إدارة الشركة فى الاستهلاك، وذلك فىم يخص كل حياته: ماذا يأكل ويلبس، وأين يسكن، وماذا يستهلك.. وكيف؟

لذا.. فمن أجل جذب المستهلك يجب تغيير ذوقه..

ويحدث هذا مثلا من خلال الفنانين والمثقفين. الذين يعتبرون نماذج تحاول الجماهير أن تقتدى بها..

سألت الاستاذة:

- لو شاهدنا اعلانا من الاعلانات التجارية تقوم به ممثلة مشهورة أو نجم محبوب، لاشك سنسعى إلى شراء هذه السلعة لان لدينا احساسا أن نجمنا المحبوب

يفضلها. ويجب أن نفعل مثلما يفعل النجوم..

حدث هذا أيضا بالنسبة للشركات متعددة الجنسية, التي قامت بتجنيد مفكرين وكتاب وفنانين محبوبين من كل انحاء العالم من أجل الترويج لأفكار الشركة, والسلع التي تقوم بانتاجها, وبيعها في كل انحاء العالم.

يا الهى..

انه أمر صعب يحتاج إلى المزيد من التمسك بهويتنا المحلية, وأيضا بعاداتنا..

ترى كيف يمكن أن يحدث هذا؟

الكاتب «سماح ادريس», مفكر عربى لبنانى, كان له بحث مهم فى مؤتمر عن العولمة, عقد فى مصر عام ١٩٩٨, قال فيه أن هناك عدة أوجه تدفع إلى أن يميل البعض إلى العولمة.. منها مثلا:

١. انتاج كتب أطفال جامدة وجافة تستنفر الأهل وتدفعهم إلى شراء الكتب الأمريكية والفرنسية.

٢. لجوء بعض الكتاب إلى الكتابة لجمهور غربي
أملا في الحصول على جوائز أدبية من هناك،
وهي جوائز ذات ذوق غربي وأوروبي بالاساس.

٣. لجوء بعض الكتاب والقراء العرب إلى تراث من
نوع آخر، هو تراث يحمل وجهة النظر الغربية
التي لا ترى في تراثنا العربي سوى السطحي
والمدهش.. وهو ما يخلق عند الانسان العربي
شعور بأن تراثه صار غريبا عنه.

هذه هي بعض المخاطر.. لكن ماذا عن الشباب
والعولة؟

هذا هو السؤال الذي طرحه «تامر».

تنهدت الاستاذة قائلة:

– المشكلة أن شباب اليوم مغرمين بثقافة الصورة
أكثر من ثقافة الكلمة، يحبون متابعة العالم من
خلال الصورة في الأفلام والمسلسلات وسينما الرسوم
المتحركة والأخبار والبرامج، ولديهم عشرات الوسائل
التقنية لذلك، منها الآى باد، الاندرويد، والبلاك بيري..

وثقافة الصورة باللغة الجاذبية تحدث تأثيرها بسرعة, ولا شك أن صورة ما قد تكون معبرة عن صفحات كاملة مكتوبة. كما انها تتحرك, وغالبا ما تكون ملونة, ثلاثية الابعاد..

انظروا مثلا إلى أوبريت «الحلم العربى» الذى اشترك فى غنائه نجوم الطرب من كل انحاء العالم العربى كان أكثر بلاغة وتأثيرا من عشرات الكتب فى التربية القومية. واستمعوا إلى الأغانى الوطنية عن «تحيا مصر», والأحداث الكبرى الأخيرة لتعرف تأثير الصورة..

واعجاب الشباب بثقافة الصورة جعلهم يتعرفون على ثقافة العالم من خلال أفلام الكرتون والمسلسلات وقد صار لمسلسلات الكرتون مكانة فى قلوب الاطفال فأحبوا شخصياتها أى أنهم استوعبوا ثقافة العالم من خلال الصورة. وصارت هذه الأفلام تدخل فى اطار التسابق سنويا فى الحصول على جوائز الأوسكار, أى أنها أعمال فنية راقية. تجلب أيضا الثروات الضخمة..

وقالت الاستاذة:

- وانتم يا شباب تعجبون بالمسلسلات والقصص المصورة دون أن تتساءلوا، تقبلون الاشياء دون تأمل ومن هنا تأتي الخطورة، فنحن نعجب بها دون أن نلمس خطورتها.

انها مثل السم فى العسل..

فقصص «توم وجيرى» تنمى لدى المشاهد مشاعر العنف رغم جاذبيتها، ولو نظرت إلى ما يحدث بين توم وجيرى فسوف تلاحظ انها مطاردات وانها بمثابة حيل ذكية للمطاردة.. والهروب، وعمل المقالب، وان الطرفين فى حالة خصومة، يستخدم كل منهما العنف للتخلص من خصمه..

ولو شاهدت أحد هذه الأفلام فى التلفزيون وقد أوليتها ظهرك فسوف تسمع ما بها وسيصل آذانك خبط وضرب..

اذن.. فهى تنمى فى داخلنا مشاعر العنف دون أن ندري، ويتم ذلك بشكل متراكم على مدى الزمن..

اكتشف الشباب مدى أهمية ما يشاهدونه فى
السينما والتلفزيون.

وأدرك «أسامة» أن ثقافة الصورة هى المسيطرة
الآن على العالم بفضل التطور العلمى، والتقنى:
ثلاثية الابعاد، تطور التصوير، وخاصة الكاميرات
الرقمية، وكاميرات الموبايلات، وغيرها..

هذه الصورة اخترقت الأزمنة والأماكن ووصلت
إلى الناس فى كل أنحاء العالم مهما كانت أجناسهم
ولغاتهم، وصارت الصورة هى اللغة الأساسية بين
الشعوب التى تتكلم أكثر من ٢٨٠ لغة.

وأصبح الانسان فى أى مكان من العالم يشاهد
نفس الأفلام ونفس الأشخاص والمناظر، وصار النمط
الدولى، العالمى، رمزا للانسان فى كل مكان، وعلى
رأسها الملابس الغربية..

والمخاطر هنا أن الثقافات المحلية صارت فى
عزلة، ليس فقط فيما يتعلق بأن الأفلام الأمريكية
هى التى تسود بل أيضا فى أن الأفلام المحلية
ليس لها مشاهد على مستوى العالم..

قررت الاستاذاة أن تدعو التلاميذ لتناول بعض المشروبات الطازجة وأحست أن الجميع قد استوعبوا الكثير حول الموضوع الذى بدأ صعبا فى أول الحوار الجماعى وشعر الشباب أنفسهم أن ما قاله «تامر» فى المسابقة كان بمثابة عناوين لما عرفوه بالتفصيل فيما بعد..

وفى أثناء تناول المشروبات بدت نشوة حب المعرفة، وقد تملكت الحاضرين لذا تكررت الاسئلة واستمرت قال «سعيد»:

- وما العمل؟ كيف نحمى أنفسنا من مخاطر العولمة؟

بدت الأستاذاة كأنها تنتظر هذا السؤال.. ولذا أسرعت بإخراج كتاب من حقيبتها وقالت:

- هذا هو المطلوب.. الكتاب سواء كان ورقيا أو الكترونيا..

وراحت تتحدث أن الكتاب سيبقى من أجل مقاومة شرور العولمة.. فالكتاب هو رسالة الثقافة الوطنية، لأنه الرمز الأول لكل ثقافة جادة وعميقة،

ودلت على ذلك بأن برامج القنوات الفضائية تخلو من برامج ثقافية، أو برامج عن القراءة، وأن أكثر المذيعين يكشفون عن جهل وليس عن علم ومعرفة عميقة..

الكتاب يقرأه الأطفال والكبار من أجل التسلية والتخيل..

وأجمل ما فى الكتاب انه يدعو إلى التخيل..

وينمى قدرة الانسان على الخيال، والابتكار، ويدعو إلى الإضافة، وليس الثثرة التافهة..

وبينما الصورة معرفة..

فالكلمة المكتوبة خيال.

وبالخيال يتمكن الانسان من توسيع مداركه..

فإذا قرأت قصة تدور فى مدينة غير موجودة، فأنت تتخيل شكل المدينة السحرية، أما إذا قام مصمم ديكور بإعدادها فى فيلم فهو بذلك يقتل خيال ملايين القراء، وذلك مثلما حدث فى فيلم «تايغانيك» الذى صنع الديكور للسفينة التى غرقت عام ١٩١٢.

قالت الاستاذة:

– لعلكم تعرفون أن للكتاب فى حضارتنا مكانة رفيعة ..

وأجمل الكتب هو كتاب الله.. القرآن الكريم.. فيه التعاليم للناس والهدى وسببى الكتاب خالداً لانه كلام الله.

وسبحان الله حين كانت الكلمة الأولى فى القرآن الكريم «اقرأ.. باسم ربك الذى خلق».

والصورة لا ترسخ فى الذهن بنفس قوة الكلمة الباعثة على التخيل.

هنا كان الشباب قد انتهوا من تناول المشروبات.

وبدوا كأنهم استوعبوا المفهوم بكل معانيه.

وصار على كل منهم أن يعود إلى البيت.. وعندما وصلوا كان أول شىء توجهوا إليه هو المكتبة.. ورفوف الكتب, وردد «تامر» بكل ثقة:

- هذه الكتب هي الحصن الحصين فى مواجهة كل ما هو ضد ثقافتنا، وهى تساعدنا أن نتحدى العولمة، ونشارك فيها.

وطوال الايام التالية، انهمك الشباب فى التعرف على المزيد من حكايات ومظاهر العولمة فى حياتنا كمصريين، وعرب، وتابعوا النموذج الذى بنيت عليه مدينة دى.. فى دولة الامارات العربية المتحدة..

كانت هذه المدينة قبل سنوات قليلة، قطعة من الصحراء، ورمال ممتدة إلى جوار الخليد، لكن رئيس الدولة الشيخ زايد رحمه الله، قرر أن ينقل النظام العالمى، إلى بلاده، بكافة سماته.

وسرعان ما برزت البنايات الضخمة فوق الرمال، ناطحات سحاب عملاقة لم يصدق أحد أنها يمكن أن توجد فى الصحراء العربية..

وجاءت التقنيات الغربية تتنافس، وتؤدى دورها، وجاءت الشركات العالمية من كل مكان، خاصة الولايات المتحدة، لتؤدى دورها، البنايات تحتاج إلى تكنولوجيا خاصة ليست المصاعد العارية،

بل المصاعد شديدة السرعة, وأساليب جديدة فى
تخطيط المدن..

وجاء العمال من كل أنحاء العالم للمشاركة
فى هذا التغيير, من أسيا, ومن البلاد العربية, ومن
أوروبا, والولايات المتحدة.

وبرزت البنايات العالية, وأيضا تم الاهتمام
بالبنايات الذاتية, التى صممت من خلال الفن الاسلامى.

واهتمت البلاد بعقد مؤتمرات علمية وثقافية
لشد الانتباه إلى ماذا سيحدث من تغيير فى هذه
البقعة الصغيرة من العالم.

وتم بناء الأحياء الجديدة.

وتم الاستفادة من سطح البحر.. وأعيد تشكيل
المدن, وكان الهدف هو أن تتفوق دبی فى أشياء كثيرة..
أن تكون الأولى..

لديها مثلا أعلى برج فى العالم, برج الشيخ خليفة.
ويوجد بها أكثر البنوك تطورا.. وسوقا للأموال..

ولا تزال دبي تتطور.. وتتقدم لتكون الأفضل..

دفع هذا بالدول الأخرى أن تقوم بالتجربة نفسها، خاصة بقية دول الإمارات، ابتداءً بـ «أبو ظبي»، و«الشارقة»، وأيضاً دخلت الكويت فى المنافسة.. وعليه، فإن الغد سيكون له شكل مختلف.

سوف تتحول هذه المدن إلى عالم تقنى، يعمل بالتكنولوجيا التى تتطور بسرعات من الصعب ملاحقتها.

وفى هذا الإطار، فإن الدول التى لن تلتفت إلى مخاطر العولمة، فإنها سوف تجد غيرها فى حالة تقدم مستمر، أى أن المدن التقنية سوف تزداد تطوراً. والبلاد التقليدية سوف تحتاج إلى المزيد من الرثاء، والمعونات، والديون، وسوف تتغير الحياة بشكل ملحوظ..

فى أثناء هذا الحوار المدهش، عرض واحد من الأصدقاء أن يعرض على الحاضرين مشاهدة أحد الأفلام المصرية، التى حاولت تنبيه الناس إلى أننا فى عصر متغير اسمه عصر العولمة..

وقوبل الأمر باستحسان شديد، فالفيلم من اخراج الراحل يوسف شاهين عام ٢٠٠٠، أى فى بداية القرن الواحد والعشرين الذى نعيش فيه، واسمه «الآخر» من بطولة هانى سلامة، وحنان ترك، ونبيلة عبيد، ومحمود حميدة، ولبلبة ومجموعة من الشباب..

الفيلم يروى قصة عن كيف بدأت العولمة تغزو مصر، من خلال السوق الاقصادى، فالشاب الامريكى - المصرى آدم يصل الى القاهرة مصاحباً لوالديه اللذين جاءوا لعمل عدد من المشاريع الاقتصادية فى مصر، هى مشاريع لا تحترم إلا أصحابها، منها مشروع بناء مجمع للأديان الثلاثة فى سيناء، ومنها مشاريع اقتصادية تتم الموافقة عليها عن طريق الرشاوى، والنسب المثوية..

وفى المطار يتعرف آدم على الصحفية الشابة حنين، التى تريد أن تكشف سلبيات المشاريع الاقتصادية، ويقع الشاب فى حبها، ويسعى الى الزواج منها رغم الفارق الاجتماعى، الا أن والدته «آدم» تقف له بالمرصاد، هى المرأة التى تدبر وتدير كل شىء، تريد من ابنها مجرد علاقة عابرة مع الفتاة.

الا أن الحب يتملك من الاثنين. ويقوم آدم بمحاولة
أنقاذ زوجته من احدى الجماعات الإرهابية، التي
يشارك اخوها فى عضويتها، وفى أثناء عملية الانقاذ
* * برصاص الارهاب، ولا تحصن اسرة آدم التي
جاءت لعمل مشاريع اقتصادية وهمية سوى الحزن،
وفقدان الاب الوحيد، الذى ترك الولايات المتحدة
كى يعيش فى مصر..

فى هذا الفيلم، وضع يوسف شاهين الخطوط
العامة لمخاطر العولمة، من خلال الجانب الاقتصادى
الذى تمثله المشاريع الوهمية. مثل كل هذه الشركات
التي لا تصنع سوى المياه الغازية، والعصائر والمنتجات
الاستهلاكية، مصحوبة بكم هائل من الدعاية، يدفع
المستهلك قيمته، وهو بالغ الرضاء.

العولمة الاقتصادية، هى الأشهر، والاكبر،
والأوسع انتشارا.

وهى تعنى سرعة تبادل السلع والخدمات
العالمية، على مستوى الدول فى كل انحاء العالم،
فقد ساعدت وسائل الاتصال السريعة، والمواصلات

المتطورة على سهولة نقل السلع والخدمات عن طريق الطائرات، والسفن، والقطارات، وسبل النقل الأخرى، لقد صارت هذه الوسائل أضخم، وأكثر اتساعاً، لذا فهي تحمل المزيد من البضائع، وتصل إلى مقاصدها (الموانئ والمطارات) بسهولة ملحوظة.

ومع كل هذا التطور في النقل، وظهور سبل أوسع لإرسال البريد من خلال البريد الإلكتروني، والفاكس بوك، بدأت الحواجز التجارية في الاختفاء.. وصار على الدول التي كانت تفرض رسوماً ضخمة على استيراد السلع من الخارج، مثل مصر، ومنها السيارات، والسلع الكمالية، أن تخفف من قيد هذه التعريفات الجمركية، ومع عام ٢٠٠٤، كانت أغلب دول العالم قد انضمت إلى اتفاقية لمنظمة الدول العربية أبرمت قبل ذلك بتسع سنوات، وصار على الدول الأعضاء اتباعها، يعني لا حواجز جمركية..

والسلع تمر بسهولة، وهكذا جاءت إلى مصر آلاف السفن، من دول شرق آسيا، ومنها الصين، وسنغافورة، والهند، محملة ببضائع رخيصة السعر، أغرقت الأسواق وشكلت تهديداً حقيقياً للصناعة

المحلية، التي هي فى اغلبها سيئة، وهكذا غرق
الناس فى بحر من العولمة الاقتصادية..

وصار معنى العولمة فى بعض الدول الاوربية
هو «تحرير التجارة على المستوى العالمى.. واتسعت
دائرة دول الاتحاد الاوربى، فانضم إليها بلدان من
أوروبا الشرقية ومنها التشيك، بولندا، سلوفاكيا،
ليتوانيا، وغيرها..

انه المال يتحرك، بسرعة مجنونة، فى صورة
سلع، وسرعان ما اتسعت الاسواق، وعرفت الامم ما
يسمى بالاسواق الضخمة، داخل بنايات واسعة، هى
«المولات» **Malls**، التى تحولت الى مدن صغيرة، أو
أحياء محاطة بالاسوار يباع فيها كل شىء، وتوجد
بها المطاعم التى يرتادها الناس، والمكتبات، والمقاهى،
وتغيرت حياة الناس الذين أقبلوا على هذا النوع
الجديد من الحياة، عن رضاء تام..

انه عالم الاستهلاك بلا حدود..

هذه السمة التصقت بشكل ملحوظ بالعولمة.

مجتمعات أغلبها استهلاكي، تحولت الى أسواق للدول الكبرى.

حتى الدول الكبرى تغيرت اسمائها، وعلى رأسها الصين التي تباع منتجاتها الضخمة في كل أسواق العالم. وعرف العالم الجديد في ظل العولمة، نوعين رئيسيين من العمالة:

الأولى تعمل، تنتج بطريقة آلية، وليست ابتكارية، فليس هناك عامل ماهر دائما العالم الذي يتابع أمام الآلة ان تجميع السلعة في قطعة واحدة، يمشى على قدم وساق..

الثانية، عامل الخدمات، الذي ليس أى دور فى الانتاج، وهو إما حمال، ينقل السلع من مكان لآخر، فى الموانئ، والمطارات ومحطات القطار، وهناك الجزء الغالب من العمال الذين يقوم بعرض هذه السلع فى الاسواق المفتوحة وبييعها.. ووسط دخول متميزة لهؤلاء العمال، ابناء

سلع العولمة، تغير شكل الحياة فى المجتمع المعاصر، كل المجتمعات المعاصرة، فلو سافرت الى المدن الكبرى، من باريس الى براج، وروما، وبرلين، وأوتاوا، ونيويورك، ستجد هذه الأسواق منتشرة وأغلب السلع فيه مطبوع انه «صنع فى الصين»..

وعمر هذه السلع قصير، والغريب ان جودتها تعكس أسعارها، فهناك سلعة تباع بأسعار معقولة، وهناك مستنسخات منها تباع فى بلاد أخرى، مثل مصر، بأسعار زهيدة جدا، لكن عمرها الاستهلاكى قصير للغاية..

وساعدت هذه الظاهرة فى حل مشاكل البطالة، فى الدول التى تعاني من زيادة السكان، ومنها الهند، وباكستان، ومصر، وغيرها..

ونتج عن ذلك تدويل التدفقات العمالية والتجارية بين مدن العالم، وأمام الرواج فقد انتشرت ظاهرة الهجرة غير الشرعية، التى لم يعرفها العالم من قبل.. ومن أجل العيش فى زمن العولمة، صار على المرء أن يدفع مبلغا لا بأس به من أجل الإبحار غير

الشرعى فى أجواء شديدة الخطورة الى البلاد الغنية،
قادمين من بلادهم الفقيرة فى افريقيا وآسيا..

وبدأت ظاهرة توطين المراكز الرئيسية للشركات
العالمية فى بلاد عديدة، ونتج عن ذلك تنشيط طرق
تجارية بعينها مثل «طريق الحرير» الذى يمتد بين
الصين ودول آسيا، ودول الخليج المعروفة انها الأكثر
استهلاكاً أو بها قدر كبير من السيولة الاقتصادية..

ومن خلال ذلك، تم التوسع فى بناء أساطيل
جديدة فى وسائل النقل، بحراً، وجوا وبراً، بالإضافة
الى الشكل الجديد، وأدى ذلك الى ابتكار وسائل نقل
جديدة، ومنها التوك توك الذى انتشر فى المدن
الفقيرة، مثل نيودلهى، والقاهرة، وغيرها أيضاً أدى
هذا الى التوسع فى انتاج الحاويات العملاقة التى
تنقل فيها الاعداد الكبرى والمساحات من البضائع..

كما تم ابتكار وسائل سريعة للشحن، وارتفعت
قيمة بعض العملات الدولية فى هذه الدول،
وعلى رأسها اليابان، التى تفخر بجودة ما تقدمه
الى الاسواق، وارتفعت قيمة الين اليابانى، واليورو

الاوروبى، والدولار الأمريكى، وهى العملات الأوسع تداولاً فى زمن العولمة..

وعليه، فسرعان ما تحسن المستوى المعيشى للسكان، فخريج الجامعة فى مصر على سبيل المثال، الذى عانى من البطالة، واتجه الى بيع سلع زمن العولمة، فصار يحقق مكسباً كبيراً، بأقل قدر من المجهود، وبدون أى انتاج يذكر، وقد ساعد ذلك على تكوين طبقات اجتماعية جديدة، والى تقديم سن الزواج عند ابناء هذه الطبقة، كما أدى ذلك الى تحسين خدمات العديد من المهن، ومنها قيادة التاكسيات التى انتشرت فى المدن الحديثة، وصارت مهنة من لا مهنة له، ويمارسها الآن، موظفون متقاعدون على مختلف المهن، وشباب، وعاطلون، وقد انعكس ذلك بشكل ملحوظ على سيارات السرفيس، والتوك توك وغيرها..

هذه هى مظاهر العولمة.. التى هللنا لها..

بل هى مخاطر العولمة..

فى وقت عجزت فىه الحكومات عن
العثور على الحل الأمثل، وهو العمل على
مشاريع انتاجية، أو ايجاد وظائف، تختلف عن
الأعمال المكتبية المنتشرة فى الكثير من الدول
الفقيرة، فى ما كان يسمى بالعالم الثالث سابقاً..

وظهر نوع جديد من الاحتكار، يتم فى اطار
مجموعات اقتصادية، لم يعد الاحتكار للسلع قائم على
فرد بعينه، بل راحت تمارسه مجموعات اقتصادية،
لها أفرع فى أكثر بلاد العالم، حيث لا أحد يعرف..
أين الفرع الرئيسى للمجموعة، وأين الفروع الأخرى،
إلا أن الملاحظ أن لكل فرع منها تخصصه الدقيق،
فى أنشطة معينة، وذلك حسب التنافس المحلى..

وعليه فقد ظهرت صور جديد، زادت من مخاطر
العولمة، ومنها ان الفروع المتشعبة، يمكنها التعاقد من
الباطن، وهو ما يعرف باسم الصفقات المشبوهة، أو
الصفقات المريبة..

وفى الغالب، فان القوانين لا تجرمها، لأنه من
الصعب الامساك بها، أو وضعها تحت لائحة..

وقد ساعد هذا على توسعة التبادل التجارى بين الدول، وعلى السيطرة على نشاط تجارى لسلعة بعينها داخل مجموعة اقتصادية..

هذا النوع من النشاط الدولى، كانت صورة لسهولة توزيع الخدمات والسلع الخاصة بأى شركة عالمية فى جميع الدول لتغطية السوق، وما أوسعها من سوق فى عالم يزداد افراده يوميا، ويتعاضم استهلاكه، دون أن يعرف أحد، ماذا ينتظره، وما هى المخاطر المخبوءة فى المستقبل..

اذن لقد صار العالم **Globe** بمثابة قرية صغيرة، تصل البضائع فيها بسهولة من المنتج الى الموزع الى المستهلك بسرعة وسهولة، وصار الثلاثة فى حالة «شغل» لا يكفون عن الحركة، وممارسة «الفعل»، سواء بالانتاج، والتسويق، والاستهلاك، وساعدت وسائل المواصلات على التقريب بين سكان العالم، وتحركت هذه الوسائل بسرعات متراكمة، أشبه بالمتواليبة الهندسية ابتداء من اكتشاف الكمبيوتر، ونقل استخدامه من المراكز البحثية الى البشر العاديين، مع تصغير حجم

الكومبيوتر، حتى أصبح فى حجم اليد الصغيرة، وما تلاه من اختراع الهواتف الذكية، المحمولة، وقد أدى ذلك الى مولد ما يسمى بالتجارة الاليكترونية..

يعنى هذا ان عدد المجموعات الاقتصادية فى ازدياد، وان دليل رجال الأعمال صار يتسع وصارت كرة الأرض تصغر اعتباريا، حتى كأنها صارت فى متناول اليد، وارتفع معدلات التبادل، وصارت هناك مفاهيم واصطلاحات جديدة، مثل.. الاقتصاد الطائر، وصارت للبنوك فروعاً فى كل انحاء الدنيا..

وأصبح فى الامكان تحويل الأموال بين الدول فى بعض الكسور من الثانى، وهذا يعنى ان العالم، وبنوك العالم، صار حصاله للتبادل بين كفة العملات، حتى وان كانت قيمة بعضها تتنامى على حساب البعض الآخر..

أدى هذا الى الاحتكار، وزيادته..

ونتج عن ذلك ارتفاع أسعار البترول فى بعض الفترات الى ١٥٠ دولار للبرميل ثم انخفض السعر فى عام ٢٠١٥ الى أربعين دولار، وينتظر ان يصل الى نصف

هذا المبلغ ورغم ذلك فالناس فى حالة استهلاك الطعام، الطاقة، الملابس، وزادت نفايات البشر، وظهرت مشكلات عديدة، منها التخلص من هذه النفايات..

وكان من نتاج ذلك ظهور التخصص فى عمل المنتجات على الصعيد العالمى، ففى جنوب آسيا، وشرق آسيا، وجنوب شرق آسيا، بدأ انتاج سلع قوية المحتوى من حيث العمالة الماهرة، وهى سلع تحتاج الى كميات هائلة من رأس المال بهدف القدرة على التصنيع، كما ان الأمر يحتاج الى دعاية، وعمل البحوث للتطوير، والتوسع واكتشاف كل ما هو جديد..

وصارت هناك دول بعينها على رأس قائمة الدول الانتاجية منها الولايات المتحدة الأمريكية واليابان، ودول غرب أوروبا، وعلى رأسها فرنسا وألمانيا، وبريطانيا، فى الوقت الذى تلعب فيه دول وقارات عديدة أى دور انتاجى، مثل الدول العربية، وأيضاً افريقيا، وأمريكا اللاتينية..

وانقسم العالم الى ثلاثة أقسام رئيسية..

– دول تنتج فى المقام الأول، تصدر وتستهلك..

- دول تقدم بانتاج المستنسخات توزيعها على مساحات عديدة من العالم بما فيه الدول الصناعية الكبرى..

- دول استهلاكية فى المقام الأول, لا تقدم أى مشاركة ولو بسيطة فى عمليات الانتاج, مثل دول الخليج, ودول أخرى قد تساهم فى عملية التصنيع, أو الترتيب, ولعل مصر هى الاوضح كنموذج فى هذا الاطار..

وفى هذا الاطار ظهرت المنظمات الاقتصادية متعددة الجنسية, هذه المؤسسات تقوم بدور تنسيقى على النطاق العالمى فى مجال اقتصادى معين.. قد تكون احتكارية, وقد تسعى الى ذلك..

من هذه المنظمات: منظمة التجارة العالمية, ومقرها جنيف..

وأىضا منظمات لها أهداف مشتركة, متشابهة, ومنها على سبيل المثال:

– البنك الدولي

– صندوق النقد الدولي

– منظمة العمل الدولية

وقد تكون هذه المنظمات متخصصة..

★ ★ ★

لا يزال الحوار يدور بين الاصدقاء, حول العولمة, مخاطرها, ومستقبلها, بين الاصدقاء بين مشاهدة فيام «الآخر» اخراج يوسف شاهين..

أثار الحوار بين الاصدقاء الحماس, فكما ان الفن لعب دور المنبه, والمخدر, لما يدور فى العالم, على المستوى الاقتصادى, فإن كل من الحاضرين, استعان بالمواقع المعرفية والمعلوماتية, التى يرجعون إليها أثناء النقاش, عن طريق الرجوع الى جوجل, وغيره من المواقع..

طرح أحدهم أن هناك منظمات اقتصادية عالمية متخصصة فى أمور باللغة الدقة, فى أمور الملاحظة, والاتصالات, ومنها على سبيل المثال:

* الاتحاد الدولي للاتصالات

* غرفة التجارة الدولية

* قطاع الأعمال التجارية من أجل التنمية الدائمة

* مركز الأمم المتحدة لتيسير التجارة والاعمال

التجارية الاليكترونية

هذا يعنى اننا لسنا وحدنا, وان كل هذا النشاط
الاقتصاد الدولى, يعمل من أجل خدمتك, واستهلاك
ما لديك من نقود, والأفضل هو من يعمل, وينتج,
والأقل أهمية هو ومن يستهلك, وينتظر المعجزات..

لهذه المؤسسات الحكومية, والخاصة, والدولية
دور أساسى لتوسيع دائرة العمل, ففى الاقتصاد, فان
الأرقام ليست لها نهاية, انها أشبه بالفراغ الذى
لا يكف عن الاتساع, أشبه بالفجوات أو الثقوب
السوداء فى المجرات, تنطلق فيها الأجسام دون أن
نعرف أين ستتوقف..

هذا اذا كانت لديها قدرة على التوقف, أو
الفرملة, أو السيطرة على حركة رأسمال..

الهدف هو تحقيق نمو اقتصادى فى عالم لا يكف عن الحركة.

وعمل توازن دقيق للغاية فى عملية تدفق السلع, وسط أكبر قدر من المنافسة الشريفة, وسط قوانين دولية صارمة فى هذا الشأن..

يتم ذلك من خلال توقيع معاهدات بين الدول , أو بين المؤسسات والمنظمات السابقة الذكر, وغيرها..

ابناء الدول الفقيرة انتقدوا ما جاءت به العولمة من مظاهر, وقالوا ان الدول الغنية تزداد ثراء.. وان الدول الفقيرة تزداد فقرا..

والمسافة تتسع أكثر بين الطرفين دون أى أمل فى أن تجد مساواة أو عدل فى التوزيع.. وعليه انتبهت الدول والمنظمات المستفيدة من العولمة الى مساعدة الفقراء فى الدول..

والمطلوب من الدول الغنية, التى تربح الكثير فى ظل العولمة, أن تقدم المعونات الاقتصادية, والمنح التعليمية, والمساعدات المالية وغيرها الى الدول الفقيرة..

يعنى «من يملك» عليه النظر بعين الاعتبار الى
«من لا يملك»..

ليس ذلك فقط بدافع انساني، لكن بدافع
اقتصادي، فلو أفلست الدول الفقيرة تماما، فلن تجد
ما تشتري به فى المستقبل، وقد تحدث ثورات
للجوع تؤدي الى عدم الاستقرار مثلما حدث فى أكثر
البلاد العربية منذ عام ٢٠١١، حتى الآن، ولاشك
ان غول الفقراء لن يوقفه أحد.. لو شعر بالجوع..

ولذا، فإن ما حدث فى الدول العربية، ما اسمى
بالخطأ بالربيع العربي، قد دفع المؤسسات السياسية
والاقتصادية الدولية الى دراسة ما حدث، من أجل
البحث عن حلول اقتصادية لحل هذه الأزمات، التى
ولدت مصحوبة بتوغل العولمة داخل حياة البشر..
انهما عالمان، متناقضان لن يلتقيا أبدا..

الأول يعتمد على التجارة الاليكترونية، التى
تسيطر عليها كل ما هو تقنى، متجدد ينطلق بسرعة
من الصعب شد لجامها..

وهناك مساعى من مركز الأمم المتحدة لتيسير
التجارة بين الشعوب, وأيضا الأعمال الاليكترونية
المتطورة من أجل تنمية الأعمال, كى تكون متطابقة
دوما مع النظم التجارية الاليكترونية المتطورة..
وحرصت الولايات المتحدة الامريكية على عمل
سجلات تتضمن سجلات بيانات لكافة الانشطة
المتعلقة بالتجارة الدولية..

وقامت الوكالة الاوربية للتجارة بعمل قوائم
وسجلات خاصة بالانشطة التجارية فى الاتحاد
الاوروبى..

وحدث ذلك فى روسيا والصين وكندا..

الأمر قد يتطور الى حالة معقدة, قد لا تتفق مع
اصدقائنا من الشباب الذين توجه إليهم هذا الكتيب..
وهم أقرب الى الشباب الذين يتجادلون الآن
حول أضرار العولمة, بعد مرور أكثر من عشرين
عاما على اتجاه العالم نحو هذا المصطلح بقوة..

★ ★ ★

نحن نقول بالنسبة لنا فى بلادنا, أن للعملة
مضار ملحوظة..

ونؤكد أن العملة مصطلح نابع من الدول الغنية
فى المقام الأول, وكما تقول المراجع فان هناك فوائد
كثيرة واضحة للعملة..

أولها أن المستهلك فى هذه الدول, ومنها الولايات
المتحدة, والاتحاد الاوروبى واليابان عادة ما يجد أمامه
متسعا من السلع المعروضة, المتنوعة, وكثيرا ما تكون
بأسعار أقل من السلع التى يتم انتاجها فى بلده..

أى أن الكاميرا الرقمية الواردة من الصين تباع فى
الولايات المتحدة بسعر أقل من شبيبتها الأمريكية..

وعليه فان المنتجات الصينية تباع أرخص من
السلع القومية فى بلاد لذا, فانها تباع بكميات
هائلة, تحقق أرباحا ضخمة, وبالتالي فإن أصحاب
رؤوس الأموال يحصلون على عائد أفضل, وقد لوحظ
أن الدول الغنية بدأت تنقل مصالحها ذوات العمالة
الكثيفة, وغير المؤهلة, الى دول أخرى, يتم فيها دفع
أجور أقل, بشكل ملحوظ وهكذا تغيرت صورة

الحياة فى العالم من حولنا..

ولاشك أن هذا سوف ينعكس على البلاد المنتجة
باقتصاد أفضل, وتتحسن أحوال العمال, والمؤسسات..

لكن, لاشك أن العولة بهذه الصورة, تعنى صعود
دول اقتصاديا, وانكماشاً لدى اقتصاد بعض الدول..

حدث هذا فى شرق آسيا بشكل ملحوظ,
كما ان الدول الغنية نمكنت من حل مشاكلها مع
العمالة التى ترتفع أجورها, بشكل ملحوظ..

وتبقى مشاكل صغيرة, أمام تلك الأرباح الطائلة!

كيف يمكن توزيع الأرباح الكثيرة بالتعادل,
لتعويض الذين شاركوا فى الانتاج الاقتصادى, وسط
المنافسات الشديدة..

★ ★ ★

وهكذا ولدت دول صناعية جديدة, راحت
تتشكل مع السنوات, وبايقاع سريع.

هذه الدول لديها ايدى عاملة مؤهلة, يمكنها الحصول على رواتب منخفضة, وان تنتج كما كبيرا من السلع والمنتجات..

وبدأت دوائر البطالة تضيق, وعثر العمال المهرة على وظائف, ودخول مناسبة وابتعد هيكل الفقر المخيف عن هذه البلاد..

وتم عمل برامج تدريبية صناعية لصقل مواهب هذه الايدى العاملة, من أجل أن تكون قادرة بشكل أفضل على الانتاج..

وسرعان ما تراكمت المشاكل..

فقد تضخمت الثروات لدى المؤسسات الصناعية الكبرى فى الدول الصناعية الجديدة بشرق آسيا, ومنا الصين, وماليزيا, والهند, وتايلاند, والفلبين, وكوريا.. وأيضاً تايوان..

هذا التضخم, أظهر مدى اتساع تبعية هذه البلاد لأسواق مالية أخرى فى بلاد الغرب, وسط ما يسمى بحماسة المضاربة..

وأهاب الخوف الجميع, وأيضا الطمع..

وبدت حصيلة العولمة فى تلك الدول شديدة
التناقض..

وصار فى شرق آسيا دول صارت ثرية بالفعل
بفعل العولمة, مثل كوريا, وتايوان وعلى جانب آخر
فان الاستثمارات أصيبت بتذبذب واضح فى سياستها
الاقتصادية الخاصة بانتاج وتوزيع البضائع..

فقد واجهت بعض البلاد الاسيوية, ومنها
تايلاند والفلبين الكثير من المصاعب وفشلت فى أن
تتأقلم مع السياسات المتذبذبة لسوق الاستثمارات..

وهنا برزت ما سميت بالأزمة الاقتصادية
الاسيوية, إذ أنه ليست كل الدول قد حققت
الانتعاش الاقتصادى المنشود, فى ظل ما يسمى
بالعولمة, الاقتصادية..

أما الدول الأكثر فوزا فى هذا الإطار, فإن
اثنين منها كانت فى أمريكا اللاتينية وهما دولة
المكسيك, ودولة البرازيل..

بالإضافة الى الصين..

لكن كان هناك سؤال: هل ظهر هذا الانتعاش
الاقتصادى على ابناء الشعوب فى هذه البلاد..؟

الإجابة : لا..

والسبب هو سوء التوزيع العادل لما تحقق من
أرباح طاغية فى اقتصاديات هذه البلاد..

★ ★ ★

العولمة.. شر لا بد منه..

هذا هو المنطق الذى تعاملت به الفقيرة مع
العولمة, التى بدت كأنها فرضت عليها فرضا..

فرغم أن الدول تتنافس مع بعضها فى الانتاج..
مهما تفاوتت المكاسب, وتوزيع الأرباح.. فان هناك
دولا بعينها, تشدقت بالمصطلح, دون أن يتم تجريب
التجربة, أو السير فى اطارها..

الدول الفقيرة, هى التى فعلت ذلك..

وعليه فقد سارت تتوغل فى حالات الفقر
وتنهار البورصة كل يوم وتعدد عديد من المرات..

انها دول لا يعمل ابناؤها فى مجال الانتاج، ولا
يساهمون فى التصنيع وتبدد سياسة الدول انه من
الأرض الى الفم..

كما ان هذه الدول لجأت الى المعونات والقروض
ذوات الفوائد الكبيرة، وصار عليها أن تعاني من
دفع الفوائد، وأيضا من تدبير الدين..

هذه الدول لديها مشكلات ضخمة فى مجال
التعليم..

وأيضا فى مجال الصحة.. وكذلك فى مجال
التصنيع.. وفى الزراعة..

وفى هذه الدول تزداد اعداد الناس عاما وراء
آخر، بشكل واضح، وغالبا ما يتم تدمير البنية
الزراعية، وتحويل الأرض الخضراء للبناء عليها، كى
تتسع المزيد من البشر..

انهم يعيشون فيما يشبه كرة الثلج، التي
كلما تدرجت ازدادت ضخامة، وصار من الصعب
السيطرة عليها..

ومن هنا جاءنا مصطلح «مخاطر العولة»

هذا يجعلنا نرى أن «غدا» لا يشترط أن يكون
الأفضل بالنسبة للدول الفقيرة مثلما هو الآن أحسن
بالنسبة للدول الغنية..

وإذا لم تلحق هذه الدول بنفسها، فإن «غدا»
من الصعب قراءة مشاكله ومتاعبه، وسط عالم يلهث
بقوة، يضع كل من قلبه وعقله داخل بنوكه من
أجل أن يعيش أفضل..

الكتاب القادم
صحتك في طعامك
د. عبد الفتاح عنانى



طبع بمؤسسة بسطرون
٠١٢٢٩٣٠٠٠٠٢٩